في أعمال التشكيلي السوري محمود شيخاني:

حضور طاغ للمرأة وتغليب الرؤيا على التقنيات

محمود يوسف ديوب*

من أعمال محمود شيخاني وفي الأسفل صورته

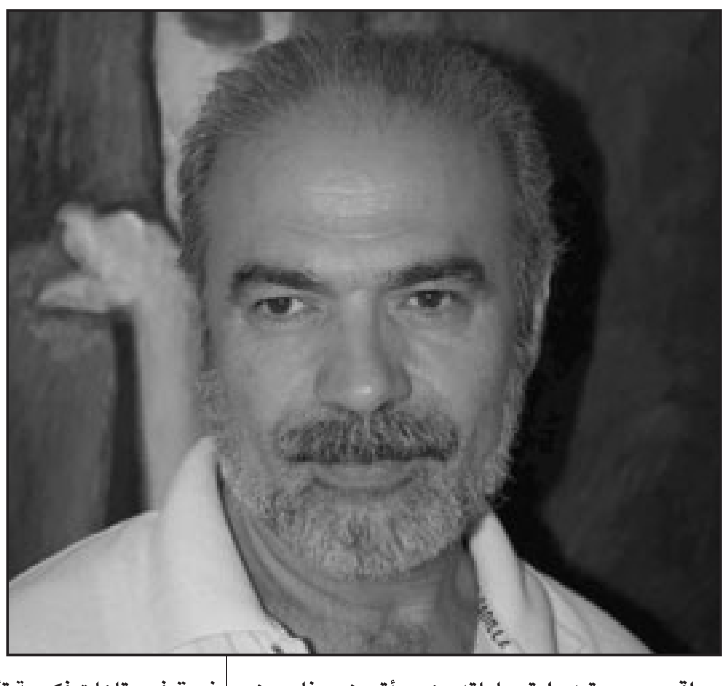

■ عبر مسيرة فنية متنوعة الأساليب والتقنية، يتابع الفنان محمود شيخاني بحثه الدؤوب عبر التقنية والشكل واللون، وقد بدأ يأخذ منحى وأسلوباً موحداً عنوانه وجوه نسائية وعبر تقنية لونية خاصة وإن بقي ضمن الألوان الزيتية مروراً بتجارب مهمة باستخدام تقنيات رقمية، عرض بعضها في مناسبات تشكيلية عامة من خلال المعارض الجماعية، لكنه عاد بهدوء إلى اللون والتعامل الحر مع اللوحة من خلال الفرشاة أو السكين، لنجد أعماله الجديدة أكثر حميمية وتحمل عاطفة أشد، وبما أنه يهتم بالوجوه مع اقترابه من الانطباعية بمعالجاته اللونية لكن يتوحد الأسلوب وتبرز ملامح فتيات حمص، وإن لم يسجل ذلك بشكل مباشر على قماش اللوحة، ولكنه لخّص ذلك بأسلوبه ليعطي أعماله بشكل عام شخصية واحدة.

وسط المدينة وفي مبنى تجاري يغص بالمكاتب الهندسية والمحامين والشركات، اختار مكان مرسمه بعد أن ضاق به المكان في مرسمه القديم... وقد التقيت به مصادفة بعد مفاجأتي باختياره المكان، ولكن... بدخولك الصالة الرئيسية تتغير الصورة ويختفي ضجيج السوق وتدخل عالم محمود الواضح بهدوئه الخاص، تفترش الجدران مجموعات الأعمال الفنية عناوينها الأساسية وجوه المرأة بالإضافة لبعض الأعمال التي ظهرت ملامح الجسد فيها وإن باختزالية تختلف بها التفاصيل، وربما تموه فيها النسب والتشريح، يتسيد اللون فيها مغيباً إلى حد ما الخطوط القاسية التي يعتمدها في إبراز الأشكال، ولكن يبقى عزفه على ترانيم اللون هو الأوضح لينسى من يشاهد اللوحة كل تفاصيل الوجوه والجسد، هو كذلك له خصوصيته في المعالجة وفي تناوله المواضيع، ولا شك بأن سمات شخصيته الهادئة والتي تحمل بعض الغموض تتضح بشكل كبير لتكون السمة الأكبر لأعماله، وقد أثرى معرضه الأخير بهذه السمة التي كانت العنوان الرئيسي الخفي، والذي لا يستشفه أي مشاهد بل ستحتاج إلى حساسية لاكتشافها، وربما هو السر الذي يميز العرض لديه، وليشدك عمله نحو اكتشاف هذا الغموض، وربما يكون معوضاً عن البساطة المتناهية في معالجة المساحات اللونية لديه، هارباً بذلك من مطب الرتابة في اعتماد المساحات اللونية المترامية في اللوحة.

وإن يعتبر محمود من الفنانين الملتزمين مقارنة بالبعض الذي يكسر بعض الحواجز المجتمعية لحساب اللوحة لكنه لا يعتبر ذلك على حساب حريته الفنية فهو يطلق العنان لألوانه لتحلق في فضاء اللوحة دون خجل، ولكن يبقى في مكنون ذاته ملتزماً بقيم معينة وهارباً من التفاصيل المثيرة خلف ضبابية تخفي بعض التفاصيل التي يرى من خلالها أي إشكال مع بعض المشاهدين الخاصين، ليكون معادلة توافقية خاصة بينه وبين المتلقي.

وإن كانت المرأة هي عناوين لوحاته الأساسية إلى جانب بعض الأعمال التصويرية عن الطبيعة فالمشهد اللوني له خصوصيته وإن كانت مواضيعه عامة وهي هاجس أغلب الفنانين، لكنه يشد المشاهد إليه من خلال معالجاته التقنية وطريقة اللون فيتغلب على عمومية الموضوع من خلال خصوصية المعالجة، بذلك يميز عمله ويعطيه صفة الأسلوب الخاص حتى لا يقع في مطب التشابه والذي أصبح أحد سمات التشكيل المعاصر.

وإن كانت مدينته حمص من المدن الهادئة والتي تحمل خصوصية تصبغ بها أغلب فنانيها وهو من الفنانين الذي لم يخرج بمرسمه عن نطاقها كأهم فنانيها الذين خرجوا إلى العاصمة بمراسمهم أو انطلقوا إلى العالم الأوروبي ولكنه بقي في هذه المدينة الوادعة التي مهما اشتد بها الصخب فلا تقارن بمثيلاتها من المدن الأصغر والأكثر صخباً، ربما حمل بشخصيته سمات هذه المدينة وتلاقيا معاً ليبقى فيها يرسم بهدوء ويتنقل بين المرسم والبيت وصالة الشعب التي يتولى تسيير أمورها المالية، وبهدوء أيضاً عاكساً حتى طريقة تعامله الفني مع اللوحة إلى حياته العادية ويجعل منها عنوان تعاملاته.

يبقى محمود الابن البار للمدينة ويساعد الفنانين ويراقبهم بصمته وابتساماته وهم يأتون ويغادرون مدينتهم إلى دنيا اغترابهم ولا يتوانى في تقديم أي مساعدة أو أي معلومات لأي باحث ودون أي تحفظ ليكون مفهوماً موحداً جامعاً بين علاقة الفنان باللوحة من جهة وعلاقته بالناس والأصدقاء من جهة أخرى، ليجعل حول لوحاته هالة إنسانية خاصة ينقلها من خلال تعاملاته بالحياة إلى مساحات القماش أو الورق ويكون اللون وسيطاً مهماً بذلك.

وبمعرضه الأخير برزت سمتان رئيسيتان في أعماله المعروضة تنازعتا ما بين نفحات رومانسية من خلال المواضيع وفكرة العمل بالإضافة للمعالجة اللونية، وما بين وحشية في تفاصيل الوجوه لتحمل اللوحة في بعض الأحيان عبء تناقض مريب إلى جانب ذلك الهدوء الذي يلف المساحات والخلفية من خلال اختزال لوني يبسط الفكرة ويخرج اللوحة من مطب الفقر الشكلي إلى نوع من الراحة البصرية من خلال النزعة الواضحة نحو البساطة، وبذلك يعزف محمود على وتر الرمزية وإبقاء اللوحة ضمن المجرد الشكلي ليبقى عبر أمان الفكرة، فلا غرق في متاهات فكرية تأخذه عبر جدليات تضعف من القيمة الفنية، ولا زخم لونياً يشتت البصر ويضيف أعباءً على عين المشاهد مفضلاً بذلك حياداً بصرياً مريحاً للمشاهد، فيبقى عبر أمان يكفيه شر الانتقاد من فئات لا تحبذ ذلك الصخب.

يبالغ محمود بالنسب عندما يرسم الأشخاص ونجد نسبة الرأس تختلف تشريحياً مقارنة بالجسد وبذلك يتابع أحياناً بهذه الطريقة ليصل إلى مستوى معين لا يسترسل به مع اللوحات الأخرى، وربما يوصل بذلك احتجاجه الصامت، وغالباً هو نوع من التعبيرية يضيفها إلى سمات عمله.

أما عن المعالجة التقنية فيبقي معالجاته الزيتية هي الأهم فلم يغرق بالتقنيات المختلفة سواء بالإكرليك أو المزاوجة بخامات مختلفة كما يجرب الكثيرون، وربما يعكس بذلك صفات شخصية في عدم الغرق بالتقنية على حساب الرؤيا، فيهتم باللون وأساسيات العمل الفني تاركاً وراءه هم البحث التقني ويشاركه بذلك بعض فناني حمص، وربما تعتبر من سماتهم بالإضافة لذلك تعتبر نزعة نحو الكلاسيكية ليس بالأسلوب بل بالرؤيا وتعتبر نوعاً من المحافظة على الأصول الفنية، وهذا يبقى بتأثير المكان وهو نوع من خصوصية المدينة التي تؤثر بيئياً وفكرياً على الفنان وهي في بعض الأحيان تبقى ضمن إشكاليات التعصب.

وباختصار إن تجربة محمود الأخيرة بلورت مسيرة فنية مهمة وإن كانت من التجارب الهادئة والمتحفظة، ومع مرورها بتقنيات رقمية وبنوع من الاختلاف ولكن كان محور التجربة سيراً عبر مخطط مرسوم بعناية يكتنفه حذر التورط في حداثة مشبوهة، وبذلك تبقى تجارب محمود تتطور بخطى ثابتة يكتنفها هدوؤه الذي عكسه بشكل واضح على مساحات القماش والورق محولاً صخب السوق والمدينة إلى رومانسية خاصة يتسيد الأزرق والأخضر خلفياتها، ويكرس بذلك تجربة نوعية من خلال الوجوه وشخوص المرأة والتي تعتبر محور أعماله فيبقى ضمن المدينة كأحد أمنائها يرسم بصمت عبر الصخب.

---

* تشكيلي من سورية مقيم في أبو ظبي

دم العلاقة:

الإبداع الأدبي وسؤال الحرب

عبد الغني فوزي

■ «الإبداع والحرب»، طالما فكرت وتأملت كأي سفلي جريح - دون متكأ أو أفق - في هذه العلاقة المركبة، وذات الوجوه العديدة : الإبداع كفعل إنساني خلاق ينتصر للحياة بمعناها الأعمق من خلال تسخير البواطن والنوازع، لنحت كلمة ترحل كما الطيورالتواقة لفضاء آخر؛ وتنتصب ولو على أرض التخييل كالرايات المعجونة بدفق المشاعر والرؤى. والحرب كشكل فظيع من أشكال التدمير والطمس المتعمد تحت نوايا ايديولوجية مفضوحة دون نظر أطول وتمحيص أعمق.

وعليه، فحين نثير هذه العلاقة، تتوالد الأسئلة على ساحتنا غير الشرفية بشكل مذهل: ما حدود الخلق والفعل في الكلمة الإبداعية؟ وأين ينبغي أن يتموقع المبدع، أمام أم وراء كلمته؟ وما هو دور المؤسسة بتلاوينها المختلفة في تبني الكلمة وتحقيق الشيوع، أعني شيوع الإنسان كخلق وعطاء ...وهي أسئلة كبرى - في تقديري - أعتبرها ملفات، لكن للأسف تفتح هذه الأخيرة في حيرة ودهشة مع الحرب وتنتهي معها بانتهاء الطلقة؛ في حين أن الحرب في العالم العربي لم تنته..؟ الحرب التي غدت حروبا، فتعددت الضحايا ضمن مسارب ودهاليز غاية في الوضوح الغريب الذي قد يغني عن أي غرائبي وعجائبي في الأعمال السردية التي تتوسل الأساطير المفارقة. وهذا يعني أن التدبير من دون يد، أي أننا نضع الأسئلة لننبه ونستجدي، وبعد ذلك نضيع في دروب وعلب الواقع الفاسدة. وغير خاف هنا، أن الخطب واللولبيات الإنشائية تندثر أمام طاحونة المؤسسة التي تؤسس لنفسها فقط وبكامل السلط العتيقة أو الحديثة اللبوس بكامل الغموض.

حقا ان الحرب الدائرة في نقط عديدة من العالم، تحرك السواكن وطيات تاريخ الأمة العربية ؛ تاريخ الأقنعة وطمس الإشكالات الحقيقية للذات العربية بين الأنا والآخر. وبفصيح العبارة هو تاريخ غدر وطعن من الخلف ولعب على الحبال وضحك على الذقون التي ترتع في بؤسها وحرمانها اليومي .. وعليه، يغلب ظني أن سؤال الحرب يثير فينا سؤال الواقع العربي ككل: متى كان الإبداع العربي الحديث مستوعبا لهذا الواقع، ممتلكا لروحه، وراصدا له ...وهو ما يفرض على النقاد والمبدعين إعادة طرح السؤال القديم ـ الجديد: الإبداع والواقع، بين العلاقة والوظيفة. على أي، قد تتعدد الإجابات والقناعات بين كيف ولماذا. ولكن - في تقديري - لا ينبغي التحصن في الإبداع كجزيرة مفارقة تماما أو القفز عاليا دون مظلات، والعلو ليس دائما سموا، بل أحيانا غفلة وتيها دون أرض أو سماء . طبعا، قد يكون الإبداع - بتعدد إيحائه وترميزه - ربيعا ضمن الأرض الخراب، وأن المطر المستقبلي آت؛ لكن من أي فصل وأصل. اسألوا النقدة عن لون وشكل هذا المطر دون التدثر بعباءة الطبيعة التي لا تمت لجبة الملسوعين بخيط. أما الآلهة فعليهم السلام وكم أغبطهم على هدوئهم أمام كل هذا الزلزال .

أي إبداع عربي اليوم يمكن أن يستقيم فوق الزلزال؟ زلزالنا العربي الذي يضرب في كل الاتجاهات. وحتى ولو كان هذا الإبداع محاكاة بفكرة المعلم الأول (أرسطو)، لكان زلزالا على زلزال. لكن الإبداع الآن وهنا يمكن أن يدخلك لمتاهاته اللغوية (مهما ادعينا تحصين البنية)، دون أن تعود لنفسك أو لأي أدب، أو لأي أرض... أعني الإبداع - دون عمومية جاحدة - الخالي من الأسئلة الحارقة، المتقوقع على ذاته كسماء سابحة، لا تقيم إلا في رؤوس أصحابها. كأن الكتابة شأن غير بشري، وبالتالي، وفق هذا المنحى الذي لا يرى إلا نفسه في المسير، ينبغي الحفاظ على سحرها المتأله الذي يرقب وحل العالم من هناك دون التدخل في مساره ولو التراجيدي. دعني أسأل: من الأصل، الحياة أم الكتابة؟؟. فلنعارك قدرنا، بتصليب الأداة قولا ونظرا؛ عوض تعميتها من الداخل.

أول إصدار سينمائي في تاريخ الجامعة المغربية

«12 فيلما 12 موهبة من الشمال»

محمد العناز

■ صدر مؤخرا عن «مجموعة البحث والإبداع السينمائي والسمعي البصري» بجامعة عبد المالك السعدي، الإصدار السينمائي الجماعي الأول « 12 فيلماً 12 موهبة من الشمال»، الذي يضم مجموعة من الأفلام السينمائية القصيرة لمجموعة من المخرجين الشباب: «اكتئاب» و«Mi-rage » لهشام بن عبد الوهاب و«أحلام صامتة»لعمر سعدون، و« Zapping» لنادي أخوين لوميير، و«Refrain» لسماح العيدوني، و«لقاء» لبلال الشريف الطريبق، و«زواج غير شرعي» للتهامي بورخيص، و«Lsolement» لعلي بودرعة، و«E larmes de L'art» لموسى هاجر ومحمد لمساوري وأشرف رقراق وخديجة المصري، و«Halqua in Moroccan Theater» لسارة الرقيق ووفاء الطريبق وفاطمة الزهراء الهبطي، و«Missing Park» لرضوان أراوي، وأخيرا فيلم « على ورقة بيضاء» لسارة العيدوني. هذا وقد صرح الدكتور حميد العيدوني رئيس مجموعة البحث والإبداع السينمائي والسمعي البصري بخصوص هذا الإصدار: « أن « 12 فيلماً 12 موهبة من الشمال» يهدف إلى التعريف بإبداعات الشباب فى مجال السينما وفن الفيديو، خاصة وأن المنطقة- شمال المغرب- تزخر بالعديد من المواهب تفتقر فى كثير من الأحيان إلى إطار لعرض هذه الأفلام. أما الهدف الثاني فهو يأتي تتويجا لعمل مجموعة البحث التي اشتغلت منذ 1987 على نشر الثقافة السينمائية الجادة والهادفة، كما أن الشريط يعد أول إصدار في تاريخ الجامعة المغربية، وهذا يؤكد الدينامية الموجودة في شمال المغرب وحركية البحث العلمي الموجودة في جامعة عبد المالك السعدي وريادتها على مستوى الإبداع السينمائي».

وتجدر الإشارة إلى أن مجموعة البحث تولي أهمية خاصة لمجال التكوين، فإلى جانب العروض السينمائية التي تنظم كل أسبوع والتي تهدف بالأساس إلى تعريف الشباب بروائع السينما العالمية؛ والهدف منها تربوي أساسا بحيث أن الشباب الذي يعيش الثورة الرقمية في المجال السينمائي يجهل في كثير من الأحيان تاريخ وظروف ولادة السينما، بموازاة مع هذا الجانب الفرجوي/ التربوي- السالف الذكر-، تعمل مجموعة البحث على تكوين الطلبة في ميادين كتابة السيناريو والإخراج والمونتاج. وقد حققت هذه الورشات نجاحا باهرا بفضل تعاون المخرجين والمبدعين المغاربة على سبيل المثال: الجيلالي فرحاتي، ومومن السميحي، والشريف الطريبق... وفى إطار دينامية بين الفرجوي والتكويني عملت المجموعة على تمكين الطلبة من إخراج مجموعة من الأفلام القصيرة، وقد تم تتويج هذا الشق من عمل المجموعة من خلال الإصدار الذي يضم أهم إبداعات شباب جامعة عبد المالك السعدي ومناطق الشمال عموما.

تداعيات

غياب بحجم الحياة

فيصل عبد الله*

(الى كامل)

«في ناس
قالوا قتل
في ناس
قالوا مات
في ناس
قالوا فتح عتمة خياله
وفات»
«طلال حيدر»

– لأسباب يطول شرحها، ومن قمة الفوضى التي تملأ الرأس، ها أنذا أكتب إليك. فقد كنت مستنفداً طيلة الأسابيع الماضية بانشغالات لا أعلم كيف تراكمت عليَّ، وحضرت على عتبة بابي مع كل يوم جديد، ما جعلني مثل الأصم على غير عادتي. فالمزاج مضطرب، وبريدك الالكتروني مغلق وهاتفك النقال هو الآخر. أقول، ومع ذلك، فها أنا أجرب الكتابة علها تثير حمية التواصل، رغم ان الانتظار، أحياناً، لا يلغي المنتظرين. ولكي أطمئنك أولاً، فان أخبارك، حلوها ومرها، تنهال عليَّ تترى، عدا صمت حذر لف دولة حروب الردة. لا أعلم كيف تحول التواصل شبه اليومي بيننا، هكذا بضربة مارد واحدة، الى نوع من الجفاء المر. ربما الحالة الحاضرة في مقبرة الأحياء، أو التزاماتك اللامتناهية وتفانيك من أجل الوطن حد الانغمار، حولتني الى مجرد منتظر عند حافات الكلمات، ورحت أزجي الوقت بكتابة استغاثة او نداء او مطالبة، وأحياناً بمقطع شعري او نثري لكاتب ما.

– أفصح ما قرأته او سمعته عنك قبل أيام، انك «أشجع منا جميعاً». ما إن تمعنت بكلمة« شجاعة» حتى سرت في كياني رجفة باردة، برودة الموت، وأحالتني بوعي او سواه الى البحث عن قيمتها في حاضر يتناهبه السماسرة واللصوص والقتلة والمأجورون وزعماء العصابات وأمراء الحروب. رحت أتساءل، هل هي «شجاعة» تأخذ صيغة عبثية لمغامرة دونكيشوتية تلهب الخيال بمصارعة طواحين الهواء؟ أم هي، مبارزة عدمية وذاتية دفع الشاعر الروسي بوشكين دمه من أجل كرامته المخدوشة؟ هل القابع فينا استكان الى المكان، وتحولنا الى كائنات تمضغ الكلام المكرر وتتقاسم اليأس، فاستعرنا كلمة «شجاعة» كي نخلعها على من انتفض على شرط يومه وقبل التحدي الى نهاية الشوط؟ «تعساً للبلد الذي يحتاج الى أبطال»، كنت أردد كلمات بريخت التي وضعها على لسان بطله غاليلو. لا أعرف، ولكن لا أظن ان أحداً من تينك يليق بك.

– الأكيد، وأنا في حيرة فك شيفرة تلك الكلمة، رحت أستعيد زمن العراق، المنظور منه، بتقلباته السياسية وانعطافاته الحادة وانكسار أحلام أجيال من أبنائه وقدره المعلق على نصل الهاوية. والسري بيننا نحن الاثنين، عندما جسنا دروب الحياة سوية، وفي رحلة لم تكن سهلة تشاركنا فيها فراش البيت والطعام والمدارس وغياب الأب مبكراً وصبر الأم. يا لها من رحلة فريدة، كأن الزمن ما مر بيننا، وكأن لغة البوح مصيرها الكتمان. وزاد من لهفي وحيرتي لإيجاد الجواب ما جاء به قاموس المنجد، كون الشجاعة تعني، الجرأة والإقدام وشدة القلب عند اليأس. لكن صدى مفردات الصحراء وغبارها المبثوث في تلك الكلمات، لم يسعفني، ربما لأنك كنت صنوه الرمزي المجسد في ابن المدينة والمدنية. لذا رحت أستعين بما في خزانتي من ذكريات وتلك المحفوظة في الأدراج.

– أي شجى، أي أنين، ذلك الذي يولده النظر في الكم الهائل لصورك ورسائلك الشخصية. هل سأكذب كذبة بيضاء؟ ماذا سأقول للوالدة وكيف سأتدبر أمري معها، وأنا الذي حملتك، حسب كلمات الشريف الرضي، حمل العين لج بها القذى/ فلا تنجلي يوماً ولا تبلغ العمى؟ هل سأخبرها بان ابنها «شجاع» ترك لقدره يقارع وحوش الغابة؟ هل لي بفضح السر؟ بالأمس القريب، كنت أقول، كم يحتاج العراق الى شخص يحمل بعضاً من سجاياك وخصالك؟ عملة نادرة في زمن ملتبس. معافى في زمن الكوليرا. زاهد في الحياة ورصيده حب الناس. صاحب مقام وغير مترفع. إنسان ومفكر وكاتب ومحاور من الطراز الرفيع وشخصية وطنية دون تصنع او ادعاء. مشروعي الشخصي ورهاني، كما أحسبه لكل من عرفك.

– هل تذكر رسالتك الأثيرة التي بعثت لي بها من باريس في صيف العام 1981، وشباك القوانين والأنظمة الأوروبية أحالتك هكذا الى مجرد اسم خارج إحداثيات الزمان والمكان؟ ومع ذلك، كنت متفائلاً كعهدك. كأن صدى كلماتك يحضرني الآن؛ «لا تعجب....ولا تسألني...أنني يومياً أردد مع نفسي قصيدة تملأني أملاً؛ «عندما تنطلق الى «ايثاكا».

– أدعو ان يكون طريقك طويلاً،
– مليئاً بالاكتشافات.
– لا تخف من:
– الآلهة القاسية
– الوحشية
– فانك لن تجدها في طريقك، طالما
– كانت أفكارك محلقة، طالما
– كانت فرحتك الفريدة تهز روحك وجسدك
– انك لن تقابل الآلهة القاسية الوحشية
– ما لم تجلبها معك بداخلك
– ما لم ترفعها روحك أمام ناظريك»

– كنت تقول، «ربما نقتل السعادة الروحية فينا بأيدينا حين نتراجع أمام الخوف، او الحزن العالق في أرواحنا....ربما تكون أمي أكثر سعادة مني، أو هي كذلك، لأنها تنتظر ابنيها اللذين سيأتيان إليها يوماً...الجزائر ما عادت لي ملاذاً، اني كرهت العودة الى تلك الدائرة المغلقة التي أحكمتها على نفسي عامين، ومارست فيها سباتاً لا بد له ان ينتهي يوماً، لا بد أن يفضي الى يقظة قد تكون تمرداً هادئاً قادني مرة الى...وأخرى الى...ومرة سيقودني حيث لا أعلم ولا أحب».

– وما دامت الكتابة تثير التواصل، رحت أتأمل، من وقتها رحلتك مع «ايثاكا». إيطاليا وتنقلاتك بين مدنها، بيروجا ودروس اللغة التي أحببت، وفلورنسا والاستقرار في ميلانو، تلك المدينة الشمالية التي ودعتها بقاموس إيطالي-إنكليزي-عربي، واخترت له غلافاً أنيقاً من أعمال الهولندي موندريان. هل كان اختيارك لذلك العمل بمحض المصادفة، أم كان مدخلك، عندما حانت اللحظة، للمضي في مشروع دراستك في مدينة تلهج بلغة ذلك الفنان؟. أذكر ان تلك النقلة قد وضعتك أمام خيارات حياتية ليس من السهل تجاوزها، ومع ذلك فقد منحتك تلك الرحلة أفضل ما يمكن ان تقدمها لمسافر ليس ككل المسافرين. كانت أفكارك محلقة كما أرادها كافافي في قصيدته إياها، فقد أدخلتك في موانئ تراها لأول مرة (مليئاً بالعرفان، مليئاً بالفرح)...لتبتاع الأشياء الرائعة:

– الماسات، والمرجان، والعنبر والعاج
– والعطور الشهوانية من كل الأنواع.
– ابتع ما استطعت من العطور الشهوانية:
– ولتزر مدناً مصرية كثيرة
– لتملأ نفسك معرفة من الحكماء».

– وقتها كنت أنتظر رسائلك وأنا في تيه الصحراء الأفريقية الكبرى. كانت تلك الرسائل تشاغلني وتبث الحماس فيَّ حيث أتقاسم الرمل مع وجبات الطعام وفي قرية لا تعرف الظل. فواصل فرح أنتظرها بفارغ الصبر كعاشق ابتلي بحب لا شفاء منه. آنذاك حمل بريدي يوماً واحدة منها قبيل ان يطوي العام 1983 فصله الأخير وفيها «دعوة» ذيلتها بكلمات ليست كغيرها.....»لأني» هكذا قلت، « بهاجس مفرح، أتمنى ان لا نتكاتب في العام القادم كثيراً...ربما كي نقاطع او نقطع لسان المنفى فينا، قد نقترب من الوطن أكثر؟؟ آمل ان لا يسرقنا هذا المنفى أحلى أشيائنا»...

– لكن تلك الأمنية النبيلة تطلبت عقدين من الزمن، والانتظارات الممضة لتتحقق، ولكن على يد ليست عراقية خالصة. عشرون عاماً، او أزيد، لم يهدأ لك بال، إلا وكان العراق ديدنك وبغداد مؤشر بوصلتك. كم من المواد والقصائد كتبت؟ وكم من مرة ناقشت لوثة المنفى؟ كم من الرسائل تبادلنا ونحن نسترجع رموز ومعاني رواية غائب طعمة فرمان «المرتجى والمؤجل»؟ كم من المرات اختلفنا وكان العراق السبب؟ كم استنفدت من أساليب وتوسلات وسفحت عواطف لثنيك وأنت تحزم حقيبتك الصغيرة مرة تلو الأخرى؟

– يقول أحد محبيك «عرفوا كيف يوجعون قلوبنا»، وهو محق في رأيه. ولكن، ألم يكن الجواهري هو الآخر محقاً في قصيدته «بأن جراح الضحايا فم....وانك أشرف من خيرهم/ وكعبك من خده(م) أكرم».

– أربعون يوماً مرت او حولها ونحن ندور في فلك وحيرة كمن ضلَّ طريقه، رغم ذلك فقد كنت حاضراً معي تقاسمني يقظتي ومنامي.

– سؤال أخير، هل تأذن لي بترجمة أطروحتك؟ وهل ستسمح لوحيدك إلياس نشر ما لم تنشره؟

– صمتك لا يطاق.
– وغيابك بحجم الحياة.

---

* صحافي وكاتب من العراق يقيم في لندن